قراءة في حديث:"أنزل القرآن على سبعة أحرف"

تاريخ الإرسال: 2018/02/22
تاريخ القبول: 2018/03/26
تاريخ النشر: 2018/06/01

بقلم
د/ مختار بزاوية (*)

ملخص

شغل موضوع الأحرف السبعة العلماء قديما والباحثين والدارسين حديثا، فقد اجتهدوا في تفسير هذا الأحرف وفهم معناها، وذلك لأن الأمر يتعلق بالكتاب العزيز وأوجه قراءاته، التي نتجت عن الرخصة التي أقرها حديث الأحرف السبعة، من أجل التخفيف على الأمة ورفع المشقة والعنت عنها.

وهذا الاختلاف قد بلغ مبلغا شديدا إلى حد التناقض والتضاد، مما جعل علماء الأمة يسعون جاهدين للحفاظ على كتاب الله وصونه من التحريف والتبديل، وخلصوا إلى قراءات متواترة ثابتة صحيحة، ولكن لغز الحرف بقي قائما محيرا لهم على مرّ العصور.

وفي هذا البحث حاولت استقصاء وجمع هذه الآراء من مظانها، ومناقشتها للخروج –فيما استطعت وتوصلت– برأي توفيقي بعون الله.

الكلمات المفتاحية:الأحرف؛ السبعة؛ القرآن الكريم؛ القراء؛ القراءات القرآنية؛ الأوجه.

مقدمة:

لقد احتفى أسلافنا بالقرآن الكريم واهتموا به، وهبّوا لصونه والدفاع عنه، خاصة عند قيام حركة التّأليف والتّدوين حول كتاب الله، والعلوم المنبثقة منه، فتعدّدت علوم القرآن ومباحثه، ولقي علم القراءات منها اهتماما كبيرا، فأُفردت له التّصانيف العديدة، وانبرى للبحث فيه جمهرة من العلماء والدّارسين، على اختلاف مذاهبهم وتنوّع اتّجاهاتهم الفكرية والأدبية، من قرّاء، ولغويين، ونحويّين، وأصوليّين، يتناولونه بالدّراسة والتّحليل قديما وحديثا.

وخلال بحثي في رسالة الماجستير في حقل الدراسات القرآنية، اصطدمت مع كثرة

(*) قسم العلوم الإسلامية – كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية –جامعة وهران1.
Bezzaouya10@hotmail.com

الاختلافات والآراء والأقاويل المتباينة في قضية واحدة من مسائل القرآن الكريم، فعزمت على أن أُكرّس قلمي لخدمة هذا الكتاب العزيز، والدفاع عن الحرف المُشرَّف، والسعي لأنشد الحقيقة وأُجَليّ عن ناظري غشاوة، وعن عقلي حيرة طالما راودتني وأنا ألج هذا الحقل من الدراسات.

ومن ذلك القراءات القرآنية، التي أُشكل على كثير من الباحثين البتّ في مسائل كثيرة فيها، ذلك أنّها تحوي في طيّاتها لُغز الأحرف السبعة، وتعدّد القراءات وشدّة تباينها واختلافها، فتراود الباحث تساؤلات عدّة، أليس القرآن واحدا ؟ فكيف له أن يتعدّد قراءة؟ ولماذا هذا الاختلاف والاضطراب في تحديد مفهوم الأحرف السّبعة التي أنزل عليها القرآن الكريم ؟

إنّ حضوري إلى هذا المجال لايعني السّبق أو ما أشبهه، ولكن حسبي أنّ عودتي إلى هذا الموضوع كانت برغبة المعالجة النّوعية والمتميّزة، إلاّ أنّني أسجل أنّ التّآليف والدّراسات في هذا المجال لا تُعدّ ولا تُحصى –دون مبالغة منّي– والإتيان على ذكرها يظلّ إتيانا على سبيل الذّكر لا الحصر، فمنها القديم –ولا نعرض له– فبيبلوغرافيا أيّ مُصنف في القراءات القرآنية، بوُسعها أن تُحقّق المبتغى، وتُبيّن للمطّلع عليها كثرتها الكاثرة والوافرة، أمّا الدراسات الحديثة فيمكن تصنيفها على النّحو التالي:

أولا: معاجم: معجم القراءات القرآنية لصاحبيه: د.أحمد مختار عمر، و د.عبد العال سالم مكرم / معجم القراءات القرآنية لـــ: د.عبد اللّطيف الخطيب

ثانيا: مقالات في الدوريات

نذكر على سبيل المثال :

نزول القرآن على سبعة أحرف ومذاهب العلماء في تفسيرها، لـــ د.رمضان يخلف، من مجلة جامعة الأمير عبد القادر/ نزول القرآن على سبعة أحرف، محاولة لفهم جديد، لـــ د.محمد خازر المجالي، من مجلة دراسات الأردنية/ الهمزة وأخواتها بين القراء و اللّغويين، لـــ د.صالح حيدر الجميلي، من مجلة آفاق الثقافة و التراث الإماراتية.

ثالثا– تآليف عامّة

منها ما لامس الموضوع مباشرة، ومنها ما تحدّث عنه ضمن مجموعة أخرى من علوم القرآن، نذكر منها:

- مناهل العرفان في علوم القرآن: د. عبد العظيم الزرقاني.
- مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح.
- القراءات القرآنية وأثرها في علوم العربية: د. محمد سالم محسين.

ولكنّ الـــمُلاحَظ على هذه التّآليف والدراسات، أنّ الغالب عليها هو الطبيعة التأريخية للظاهرة

فهي لا تخرج في الطرح عن التساؤل عن فحوى الأحرف السبعة، ومناقشة بعض القراءات، دون التجرّؤ على الصّدع بقول رافض أو ناقد لواقع القراءات، المكرِّس لطبيعة الاختلاف في هذا الموضوع، وفي غيره من المسائل التي تمسّ القرآن الكريم وتُعنى به.

أمّا دراستي فتكتسي جانبا من الأهمية والتمايز عن باقي الدّراسات الأخرى، ذلك لأنّني اعتمدت المنهج الإحصائي التحليلي لمقاربة الموضوع مقاربة شاملة جامعة، تأتي على تلخيص كل الآراء ومناقشتها، للخروج برأي توفيقيّ مع نبذ الخلاف والتعصب، أو الترجيح دون مرجح.

لذا فقد اعتمدت الخطة التالية:

- مقدمة/ إحصاء الأحاديث الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف وغيرها/ معنى الحرف في المعاجم العربية/ أهم الآراء في معنى الأحرف السبعة/ رأيي في المسألة/ خاتمة.

أولا- الأحاديث الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف:

تعدّدت روايات وطرق أحاديث الأحرف السّبعة، وقد جاء ذكرها في أغلب مُصنّفات الحديث الشريف، واستقصاؤها في هذه الــمُدوّنات يأخذ منّ الوقت والجُهد، فلا مناص من الإفادة ممّا جدّ في عالم الالكترونيات التي تُعنى بخدمة القرآن الكريم و الحديث النّبوي الشّريف، وهي كثيرة ومتنوّعة، وشبكة الإنترنيت هي الأخرى تضجّ بآلاف المواقع في ذلك.

أمّا أنا فقد وقع اختياري على موسوعة الأحاديث النّبوية الكبرى، للدكتور عبد الرّحمن طالب-رحمه الله- ولأنّه صاحب اختصاص وقد بذل جُهدا كبيرا لإخراجها، فبعد أن تمّت له طباعتها، أصدرها على شكل أقراص مُستعينا في ذلك بأهل الاختصاص، وهي مكوّنة من ثلاثة أجزاء، وتضمّ عشرات المصنّفات في الحديث الشّريف وعلومه.

وبعد عمليّة البحث عن أحاديث الأحرف السّبعة في الموسوعة، كانت النّتيجة أنّ عددها سبعة وثلاثون حديثا مع الــمُكرّر، ولكنّنا سنقتصر على ذكر بعض الأحاديث ونتفادى المكرّر منها.

إلاّ إنّنا نُسجّل نقصا في ذكر بعض الرّوايات، فسنُحاول استدراكه بما جاء في مراجع أخرى مثل كنز العمّال للهندي، فإنّه مُؤلّف ضخم ومُلمّ بأغلب الرّوايات، وكذا تفسير الطبري.

1- من موسوعة الأحاديث النّبوية لــ د. عبد الرحمن طالب

<u>الحديث الأول</u>: عن أُبيّ بن كعب، أنَّ جِبْرِيلَ عليه السَّلامُ، أَتَى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، وَ هُوَ بِأَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ فقَال: « يَا محمَّد، إنّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ هذَا ا لْقرآن عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، فقال صلى الله عليه و سلم: أَسأَلُ اللّه مُعَافاتهُ وَمَغْفِرَتَهُ، أَوْ مَعُونَتَهُ وَ مُعَافَاتَهُ، سَلْ لَهُمُ التَّخفِفَ، فإنّهم لنْ يُطيقوا ذلك، فانطلق ثمَّ رجعَ، فقال: إنَّ اللَّه يأمرُكَ أنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ هذا القرآن على حرفين فقال: أسألُ اللَّهَ مُعافاتَهُ ومَغْفِرَتَهُ أوْ مَعونتَهُ ومُعافاتَهُ، سلْ لهم التَّخفيفَ، فإنَّهم لنْ

يُطيقوا ذاكَ، قالَ: فانطلق ثم رجع، فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك هذا القرآن على ثلاثةِ أَحْرُفٍ، قال: أسألُ اللَّهَ مُعافاتَهُ ومَغْفِرَتَهُ أوْ مَعونتَهُ ومُعافاتَهُ، سلْ لهم التَّخفيفَ، فإنَّهم لنْ يُطيقوا ذاكَ، قالَ: فانطلق ثمَّ رجعَ فقالَ: إنَّ اللهَ يأمُرُكَ أنْ تقرأَ هذا القرآنَ على سبعةِ أحْرُفٍ فمنْ قرأَ حرفًا منها فهوَ كما قرأ»[1].

الحديث الثّاني: عن أُبيّ بن كعب، قال: « كنتُ جالسًا في المسجدِ، فدخلَ رجُلٌ فقرأَ قِراءةً أَنْكرْتُها عليهِ، ثمَّ دخلَ آخَرُ فقرأَ قِراءةً سِوَى قِراءةِ صاحبِهِ، فلمَّا قضى الصَّلاةَ دخلا جميعًا، على النَّبيِّ، صلى الله عليه وسلم، فقلتُ: يارسولَ الله إنَّ هذا قرأَ قِراءةً أَنْكَرْتُها عليهِ، ثمَّ قرأَ الآخرُ قِراءةً سِوَى قِراءة صاحبهِ، فقالَ لهما رسولُ اللَّه، صلى الله عليه وسلم،: "اقْرَءا" فقرآ فقال: " أَحْسَنْتُمَا أَوْ قالَ أَصَبْتُما".قال: فلمَّا قالَ لهُما الَّذي قالَ، كَبُر علَيّ، فلمَّا رأَى النَّبيُّ، صلى الله عليه وسلم، ما غَشِيَني، ضرَبَ في صدْري فكأَنِّي أَنظُرُ إلى ربِّي فَرَقًا، فقالَ رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم: " يا أُبيُّ إنَّ ربِّي أرْسلَ إليَّ: أن اقْرإِ القُرآنَ على حَرْفٍ، فرددتُ عليهِ أنْ هَوِّنْ على أُمَّتي مرَّتينِ، فردَّ عليَّ: أن اقْرَأْهُ على سبعةِ أَحْرُفٍ ولكَ بِكلِّ ردَّةٍ رَددْتُها مسْألتَهُ يومَ القِيامة، فقلتُ: اللَّهمَّ اغفِرْ لأمَّتي. ثمَّ أخَّرْتُ الثَّانية إلى يومٍ يَرْغبُ إليَّ فيهِ الخلقُ حتَّى أَبْرَهَمُ »[2].

الحديث الثّالث: عن ابن مسعود، رضي الله عنه: قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أُنْزِلَ القُرْآنُ علَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ لِكُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ »[3].

الحديث الرّابع: عن ابن مسعود رضي اللّه عنه، عن رسول اللّه –صلى اللّه عليه وسلم–قال: « نَزَلَ الكِتَابُ الأوَّلُ من بَابٍ وَاحِدٍ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ ونَزَلَ القُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ علَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ زَاجِراً وآمِراً وحلالاً وحراماً ومُحْكماً ومتشابهاً وأمثالاً، فَأَحِلُّوا حَلاَلَه وحَرِّمُوا حَرَامَه، وافْعلُوا ما أُمِرتُم به، وانْتَهُوا عمّا نُهِيتُم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمُحكَمِه، وآمنوا بمُتَشَابهه، وقُولُوا: آمَنّا به كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا »[4].

الحديث الخامس: عن أبيّ ابن كعب، قال: «قرأت آية، وقرأ ابن مسعود آية خلافها، فأتيت النبيّ ــ صلى اللّه عليه وسلم ــ فقلت: ألم تقرئني آية كذا وكذا؟ قال:" بلى" فقال ابن مسعود: ألم تقرئنيها كذا وكذا؟ فقال:" بلى، كلاكما مُحسِنٌ مُجْمِلٌ" قال: فقلت له: فضرب صدري، فقال:" يا أُبيّ بنَ كَعب، إنّي أُقرِئْتُ القرآنَ فقيل لي: عَلَى حَرْفٍ أَوْ عَلَى حَرْفَيْن" قَالَ:" فَقَالَ الملَكُ الّذِي مَعِي: عَلَى حَرْفَيْن، فَقُلْتُ: عَلَى حَرْفَيْن فَقَالَ: على حرفين أو ثَلاَثَة؟ فَقَالَ الملَكُ الّذِي مَعِي: عَلَى ثَلاَثَةٍ فَقُلْتُ: عَلَى ثَلاَثَةٍ حَتىَّ بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ لَيْسَ مِنْهَا إِلَّا شَافٍ كَافٍ، إِنْ قُلْتَ غَفُورًا رَحِيمًا أَوْ قُلْتَ: سَمِيعًا عَلِيمًا أو عَلِيمًا سَمِيعًا فَاللَّه كَذَلِكَ مَالَمْ تُخْتَمْ آية عذاب برَحمةٍ وآيةُ رَحمةٍ بعذاب »[5].

الحديث السّادس: عن عُمَرَ بنَ الْخَطَّابِ، يَقُولُ: « مَرَرْتُ بِهِشَامِ بنِ حَكِيمِ بنِ حِزَامٍ، وَهُوَ يَقْرَأُ

سُورَةَ الفُرْقَانِ في حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ _صلَّى اللَّهُ عليه وسلم_ فَاسْتَمَعْتُ قِرَاءَتَهُ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ _صلَّى اللَّهُ عليه وسلم_ فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلاَةِ فَنَظَرْتُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَمَّا سَلَّمَ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَؤُهَا؟ فَقَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلم، قُلْتُ لَهُ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ إِنَّ رَسولَ اللَّهِ _صلَّى اللَّهُ عليه وسلم_ لَهُوَ أَقْرَأَنِي هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي تَقْرَأُهَا، فَانْطَلَقْتُ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلم، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا، وَأَنْتَ أَقْرَأْتَنِي سُورَةَ الفُرْقَانِ، فَقَالَ النبيُّ _صلَّى اللَّهُ عليه وسلم_ أَرْسِلْهُ يَا عُمَرُ. اقْرَأْ يَا هِشَامُ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُ، فَقَالَ النبيُّ _صلَّى اللَّهُ عليه وسلم_ هَكَذَا أُنْزِلَتْ. ثُمَّ قَالَ لِيَ النبيُّ _صلَّى اللَّهُ عليه وسلم_ اقْرَأْ يَا عُمَرُ. فَقَرَأْتُ بِالقِرَاءَةِ الَّتِي أَقْرَأَنِي النبيُّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلم، فَقَالَ النبيُّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلم: هَكَذَا أُنْزِلَتْ، ثُمَّ قَالَ النبيُّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلم: إِنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسر مِنْهُ»[6].

الحديث السّابع: عن أبي هريرة، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: « أُنزِلَ القرآنُ على سبْعةِ أحْرُفٍ » حكيمًا، عليمًا، غفورًا، رحيمًا، قول محمد بن عمرو، أدرجه في الخبر، والخبر إلى سبعة أحرف فقط »[7].

الحديث الثّامن: عن معاذ بن جبل، قال:« أُنْزِلَ القُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ »[8].

الحديث التّاسع: عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص، قال: « سَمِعَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ رَجُلًا يَقْرَأُ آيَةً مِنَ القُرْآنِ فَقَالَ: مَنْ أَقْرَأَكَهَا؟ قَالَ: رَسُولُ اللّهِ- صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: فَقَدِ أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَذَهَبَا إِلَى رَسُولُ اللّهِ -صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رَسُولَ اللّهِ آيَةُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ قَرَأَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ – صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،-:" هَكَذَا أُنْزِلَتْ"، فَقَالَ الآخَرُ: يَا رَسُولَ اللّهِ ، فَقَرَأَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ – صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالَ: أَلَيْسَ هَكَذَا يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ:" هَكَذَا أُنزِلَتْ"، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ – صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:" إِنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَأَيَّ ذَلِكَ قَرَأْتُمْ فَقَدْ أَحْسَنْتُمْ وَلاَ تُمَارُوا فِيهِ فَإِنَّ المِرَاءَ فِيهِ كُفْرٌ أَوْ آيَةُ الكُفْرِ »[9]

الحديث العاشر: عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص، عن عمرو بن العاص، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال: « نزلَ القُرآنُ على سبعةِ أحرفٍ على أيِّ حرفٍ قرأْتُمْ، فقدْ أصبَتُم فلا تَتمارَوْا فيهِ فإنَّ الــمِراءَ فيهِ كُفْرٌ»[10].

الحديث الحادي عشر: عن عبيد اللّه بن أبي يزيد قال: سمعت أبي، يقول: «نَزَلَتْ عَلَى أُمِّ

أَيُّوبِ الأَنْصَارِيَّة، فَأَخْبَرَتْنِي: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى اللّهُ عليه وسلم– قال: نَزَلَ القُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ أَيُّهَا قَرَأْتَ أَصَبْتَ »[11].

الحديث الثاني عشر: عن بسر بن سعيد، قال: « حَدَّثَنِي أَبُوجُهَيْم، أَنَّ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ مِنَ القُرْآنِ فَقَالَ هَذَا: تَلَقَّيْتُهَا مِنْ رَسُولِ الله– صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَقَالَ الآخَرُ: تَلَقَّيْتُهَا مِنْ رَسُولِ الله – صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَسَأَلَا النَّبِيَّ– صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالَ: القُرآنُ يُقْرأُ عَلَى سَبْعةِ أَحْرُفٍ فَلاَ تُمارُوا في القرآنِ فإنَّ مِراءً في القُرْآنِ كُفْرٌ »[12].

الحديث الثالث عشر: عن عبد الرحمن بن أبي بكرَة، عن أبيه، عن النبيّ صلى اللّه عليه وسلم، قال: « أتانِي جبريلُ وميكائيلُ ــ عليهما السّلام ــ فقال جبْريل عليه السلام: اقْرَأ القُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحدٍ، فَقَالَ ميكَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: اسْتَزِدهُ، قال: اقرَأْهُ عَلَى سَبْعَة أَحْرُفٍ كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ مَالَمْ تُخْتَم آيةُ رَحمَةٍ بعَذابٍ أو آيةُ عَذابٍ برَحْمَةٍ »[13].

الحديث الرابع عشر: عن حذيفة، قال: سمعت رسول الله–صلى الله عليه وسلم– يقول: « أُنْزِلَ القُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ »[14].

الحديث الخامس عشر: عن حذيفة، أن جبريل عليه السلام لقي رسول الله–صلى الله عليه وسلم– عند حِجَارَةِ المِرَاءِ فقال: « يا جبريلُ إنِّي أُرْسِلْتُ إلى أمَّةٍ أُمِّيَّةٍ إلى الشَّيْخِ والعَجُوزِ والغُلامِ وَالجَارِيةِ والشَّيخ الذِي لمْ يقْرأْ كتابًا قطُّ " فقال: " إنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ على سبْعةِ أَحْرُفٍ »[15].

2- من مصنّفات أخرى:

الحديث السّادس عشر:« أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: اقْرَأ القُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ»[16]

الحديث السّابع عشر: « أُنْزِلَ القُرْآنُ عَلَى ثَلاَثَةِ أَحْرُفٍ، فَلاَ تَخْتَلِفُوا فِيهِ، وَلاَ تُحَاجُّوا فِيهِ، فَإِنَّهُ مُبَارَكٌ كُلُّهُ فَاقْرَؤُوهُ كَالذِي أُقْرِيتُمُوهُ »[17].

الحديث الثّامن عشر:« أُنْزِلَ القُرْآنُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحْرُفٍ، حَلاَلٌ وَحَرَامٌ، لاَ يُعْذَرُ أَحَدٌ بِالجَهَالَةِ بِهِ، وتَفْسِيرٌ تُفَسِّرُهُ العَرَبُ، وَتَفْسِيرٌ تُفَسِّرُهُ العُلَمَاءُ، ومُتَشَابِهٌ لايَعْلَمُهُ إِلاَّ الله، وَمَنِ ادَّعَى عِلْمَهُ سِوَى اللهِ فَهُوَ كَاذِبٌ »[18].

الحديث التّاسع عشر:عن ابن مسعود قال: « إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ القُرْآنَ عَلَى خَمْسَةِ أَحْرُفٍ: حَلاَل، وَحَرَام وَمُحْكَم، وَمُتَشَابِه، وَأَمْثَال، فَأَحِلّ الحَلاَلَ، وَحَرِّمِ الحَرَامَ، وَاعْمَلْ بِالــمُتَشَابِهِ، وَاعْتَبِرْ بِالأَمْثَالِ »[19] .

الحديث العشرون:« أُنْزِلَ القُرْآنُ عَلَى عَشَرَةِ أَحْرُفٍ: بَشِير، وَنَذِير، وَنَاسِخٍ، وَمَنْسُوخٍ، وَعِظَةٍ، وَمَثَلٍ، وَمُحْكَمٍ، وَمُتَشَابِهٍ، وَحَلاَلٍ، وَحَرَامٍ »[20] .

ثانيا-_التّعليق على الأحاديث من حيث الإسناد:

1- روايات السّبعة أحرف:

رُوي حديث نزول القرآن على سبعة أحرف عن جمع كبير من الصّحابة منهم: عمر، وعثمان، وابن مسعود، وابن عباس، وأبو هريرة، وأبو بكر، وأبو جهم، وأبو سعيد الخدري، وأبو طلحة الأنصاري، وأبيّ بن كعب، وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب، وسلمان بن صُرُد، وعبد الرحمن بن عوف، وعمرو بن أبي سلمة، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، وهشام بن حكيم، وأنس بن مالك، وحذيفة، وأمّ أيّوب امرأة أبي أيوب الأنصاري، فهؤلاء أحد وعشرون صحابيّا [21]، وروي كذلك عن: أبي أيوب، وعبادة بن الصّامت، وأبي بكرة، وعبد الله بن عمر، فصار العدد أربعة وعشرون[22].

وقد نصّ أبو عبيدة على تواتر حديث الأحرف السّبعة[23]، ولكن هذا التّواتر، وإن تحقّق في طبقة الصّحابة، ولكنّه لا يتحقّق في كل الطبقات الأخرى[24].

ووصل عدد الأسانيد التي ورد من طريقها الحديث ستّة وأربعون سندا، منها: عشرون في روايات أبيّ، وسبعة أسانيد في روايات ابن مسعود، وأربعة في روايات أبي هريرة، ، وثلاثة في روايات أم أيوب، ومثلها لابن عبّاس، واثنان لعمر وابنه، وواحد لكل من زيد بن أرقم، وأبي طلحة، وأبي جُهيم، وأبي بكرة، وابن صُرُد، وابن دينار، وأبي العالية[25].

وليس بين هذه الأسانيد سوى ثمانية أسانيد ضعيفة، والباقي وعدّته ثمانية وثلاثون سنداً، صحيح لا مطعن فيه من الوجهة النّقدية، كما أنّ الأسانيد جميعاً متّصلة، ماخلا أربعة انقطع فيها السّند، وإن صحّت رواياتها عن أصحابها، وتأيّد معناها بالأحاديث المتّصلة[26].

2- الروايات الأخرى

أما الأحاديث الخمسة الأخرى، فإنّها روايات ذكرت نزول القرآن على غير سبعة أحرف كما هو شائع، وهي لا ترقى إلى الصّحة والثبوت وفي أسانيدها نظر، إلا حديث الثلاثة أحرف فقد رواه الحاكم وهو على شرط الصحيحين.

ثالثا- معاني الحرف في المعاجم العربية:

يُعتبر الحرف من الــمُشترك اللّفظي، إذ تزيد معانيه على العشرة، ولأهميّته البالغة في هذا البحث، وجب علينا العودة إلى المعاجم لمعرفة معناه على سبيل الحصر، ولأنّها كثيرة ومتنوّعة فسنقتصر على أهمّها، وهذا جدول بهذه المعاني[27]:

المعاجم	معاني الحرف							
	الطّرف والشّفير والحدّ	حرف هجاء	أداة رابطة	الشّق والجانب	النّاقة الضّامرة أو المهزولة	لغة من لغات العرب	القراءة تُقرأ على أوجه	الوجه
العين		*		*	*		*	
جمهرة اللغة				*	*			
تهذيب اللّغة				*	*	*	*	
تاج العروس	*	*	*		*	*		*
الصّحاح في اللغة	*	*			*			*
مقاييس اللغة				*	*			*
لسان العرب	*	*	*	*	*	*	*	*
القاموس المحيط	*				*	*		*

بعد تقديم هذا الجدول الــمُبيّن لمفهوم الحرف الذي حملته أهم المعاجم العربية، نلمس أنّ المعاجم تباينت في احتواء هذه المفاهيم، فمنها ما جمع أكبر عدد كلسان العرب لابن منظور، وتاج العروس للزبيدي، ومنها من اقتصر على عدد محدود كالجمهرة لابن دريد، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس.

ومعاني الحرف كثيرة أهمها هذه الثمانية التي اقتصرت عليها وهي:

(الطّرف والشّفير والحدّ، حرف الهجاء، الأداة الرّابطة، الشّق والجانب، النّاقة الضّامرة أو المهزولة، اللغة من لغات العرب، القراءة تُقرأ على أوجه، الوجه).

رابعا- أهم الآراء في معنى الأحرف السبعة:

شغل موضوع "نزول القرآن على سبعة أحرف" أذهان العلماء والباحثين قديما وحديثا، فقد بقي لُغزاً يكتنفه الغموض، ولم يهتد إلى فكّ رموزه حتى الجهابذة والــمُحقّقون، بل إنّه قد حيّرهم وأعياهم البحثُ والخوض فيه، حتّى قال ابن الجزري: « مازلت أستشكل هذا الحديث، وأفكّر فيه وأُمعن النّظر من نيف وثلاثين سنة، حتّى فتح الله بما يُمكن أن يكون صوابا إن شاء الله »[28].

ولا زالت الكتابة في هذا الموضوع إلى حدّ السّاعة، متضاربة ومتباعدة، وكثرت الأقوال في

تفسير الأحرف السّبعة، وبلغت مبلغا كبيرا، حتّى أنّ القرطبي قد أحصاها – نقلا عن ابن حبّان – أنّها بلغت خمسا وثلاثين قولا[29]، وزاد السّيوطي على ذلك فقال: « اختُلف في معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولا»[30]. ولكنّ أغلبها لا يثبت أمام النّقد العلمي، ويتهاوى لانعدام أو وَهَن الأدلة التي لا تنهض به حُجّة مقنعة، لذا سأقتصر على أهمّ وأشهر هذه الأقوال والآراء:

الرأي الأوّل: إنّ المراد من الأحرف السّبعة، سبع لغات من العرب، وليس المراد أنّ كلّ كلمة تُقرأ على سبع لغات، بل اللّغات السّبع مُفرّقة فيه، وهي لغة قريش، وهذيل، وثقيف، وهوازن، وكنانة، وتميم، واليمن، وإلى هذا ذهب أبو عبيد القاسم بن سلاّم، وأحمد بن يحي بن ثعلب(ت291هـ)، واختاره ابن عطيّة(ت546هـ)، وصحّحه البيهقي(ت458هـ)[31]، واقتصر عليه ابن منظور في اللّسان[32]، وتحمّس له من المتأخّرين الألوسي(ت1270هـ)[33].

مناقشة هذا الرأي: أمّا هذا الرأي فهو مدفوع، لأنّ لغات العرب أكثر من سبع، وقد نقل الواسطي في كتابه: " القراءات العشر"، بأنّ في القرآن الكريم من الألفاظ ما يُنسب لأربعين قبيلة عربية، فإنّ كلمة " سامدون " مثلا في قوله تعالى: ﴿**وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ**﴾**النجم/16**، فإنّها بالحميرية، ومثل كلمة " خمراً " في قوله: ﴿**إِنِّيَ أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً**﴾**يوسف/36**، فإنّها بلغة عُمان لأنّهم يُسمّون العنب خمراً حقيقة، ومثل " بعلاً "، في قوله تعالى: ﴿**أَتَدْعون بعْلاً**﴾ **الصّافات/125**، أي ربّاً بلغة أزد شنوءة[34].

كما يقتضي أنّ هذا القول يقتضي أنّ القرآن أبعاض، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة ثقيف، وبعضه بلغة هوازن، الخ من اللّغات السّبع، كما يلزم منه بُطلان معاني الأخبار الواردة عن اختلاف الصّحابة في قراءة سورة من القرآن، إذ كيف يُمكن أن يُنكر عمر على هشام بن حكيم وهو قرشيٌّ مثله[35]. وماذا عن خلافات أخرى في القراءة، كالزّيادة والنُّقصان، والتّقديم والتّأخير، والإفراد والجمع..فهل يُعقل أنْ تكون هذه الاختلافات مردّها إلى لهجات القبائل العربية، إذن فهذا الرأي قاصر عن الإحاطة بكلّ أنواع الاختلاف[36].

الرأي الثّاني: أنّ المراد بالأحرف السّبعة سبع لغات من لغات العرب المشهورة، في كلمة واحدة ومعنى واحد، نحو هلمّ، وأقبِل، وتعال، وعجّل، وأسرع، وقصدي، ونحوي، فهذه ألفاظ سبعة معناها واحد، وهو طلب الإقبال، وهذا الرأي منسوب لجمهور أهل الفقه والحديث، كسُفيان بن عُيينة، وابن وهب، والطّحاوي، ونسبه ابن عبد البّر لأكثر العُلماء[37]، وأكثر من اشتهر به أبو جعفر الطّبري[38]، وانتصر له من الــمُعاصرين منّاع القطّان، ودافع عنه بقوّة[39].

مناقشة هذا الرأي: هذا الرأي القائل بأنّ الأحرف السّبعة هي سبع لُغات من لُغات العرب في المعنى الواحد، هو كسابقه، إلاّ أنّه يحصرها في لفظة واحدة لا تخرج عن سبعة أوجه، وهذا

الرأي مدفوع بما يلي من الحُجج:

- إنّ اعتمادهم على بعض الآثار الواردة في هذا الباب، والتي مفادُها: أنّ الأحرف كلّها شاف كاف مالم تُختتم آية عذاب برحمة،أو آية رحمة بعذاب (الحديث 13)، حجّة واهية، ذلك أنّ هذا الحديث لا ينهض وحده حُجّة في تفسير معنى الأحرف، أمام الكمّ الكبير من الأحاديث الأخرى، والتي لا تَنُصّ على مثل هذا الاختلاف الذي ذكروه، وهل يُعقل أن يُقبل التّبديل والتّغيير للكلمات في كتاب الله؟ وقد وجّه العلماء الفهم حول هذا الحديث، بأنّه على سبيل ضرب المثل، يقوا ابن عبد البرّ (ت463هـ): « إنّما أراد ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها، أنّها معانٍ متّفقٌ مفهومها مختلف مسموعها، لا يكون في شيء منها معنى وضدّه، ولا وجه يُخالف معنى وجه، خلافا يَنفيه ويَضادّه كالرّحمة التي هي خلاف العذاب وضدّه »[40].
- إنّ حاجة الأمّة إلى التّيسير في تلاوة القرآن، لا تتحقّق بمُجرّد التّوسّع في بعض الألفاظ المترادفة التي وُضعت لمعنى واحد، وأنّ الخلاف القائم بين القراءات لا ينحصر في هذا الجانب، ولا نجد لهذا الاختلاف في الأحرف السّبعة تفسيراً وسنداً شرعيّاً خارج معنى الأحرف السّبعة[41].
- لو سلّمنا بما يقول هؤلاء، فأيّ تيسير سيَجنيه القارئ من تلاوة كلمة بمُرادفٍ لها ؟ وأين الوجوه الأخرى من الاختلافات؟ وقد أجابوا ردّاً على هذا الاعتراض: أنّ كيفية أداء الكلمة هو بمعزل عن معنى الأحرف السّبعة لأنّه لا مِراء فيه، ويُردّ عليهم: أنّ الكلمة إذا تغيّر تنقيطها أو تشكيلها، فإنّه لا محالة أنّ الكلمة ستتغيّر كُليّاً، وسيُؤدي إلى الاختلاف والــمراء، فزيادة حرف أو نقصانه يزيد في المعنى ويُغيّره، فالقصور هنا أشدّ من سابقه وأكبر[42].

الرّأي الثّالث: أنّ لفظ السّبعة كناية عن الكثرة، وغير مقصود لذاته، ويدلّ على ذلك أنّ لفظ السّبعة يُطلَق في اللغة ويُراد به الكثرة في الآحاد، كما يُطلق السّبعون في العشرات، والسّبعمائة في المِئين، ولا يُراد بها العدد المُعيّن، ويُنسب هذا الرأي إلى القاضي عيّاض (ت544هـ)[43]، وجنح إليه من المُتأخّرين، جمال الدّين القاسمي في تفسيره[44]، وكذا إبراهيم أنيس[45]، ووافقه من حيث النّاحية العدديّة أحمد مختار عمر، وعبد العال سالم مكرم[46].

مناقشة هذا الرأي: هذا الرأي مدفوع بما ورد في الأحاديث من استزادة النّبي صلّى الله عليه وسلّم لعدد الأحرف حتّى بلغت السّبعة (الحديث:01، 05،15،13)، كما أنّ هناك أحاديث أخرى وردت بحرف واحد وثلاثة أحرف..(الحديث: 20،19،18،17،16)،إذاً فالعدد ليس من باب الكثرة[47].

الرّأي الرّابع: أنّ الــمراد بالأحرف السّبعة وجوه التّغاير التّي يقع فيها الخلاف، وقد تبنّى هذا الرأي مجموعة من العلماء، أمثال ابن قتيبة(ت276هـ)، وأبي الفضل الرّازي(ت290هـ)،

والباقلاني(ت403هـ)، وابن الجزري[48]، مع اختلاف بينهم في تحديد هذه الأوجه، وهذه الأقوال مُتقاربة فيما بينها، ولعلّ أفضلها ما ذهب إليه الرّازي في كتابه اللّوائح[49]، وهذه الوجوه هي: اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع، واختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر، واختلاف وجوه الإعراب، والاختلاف بالزيادة والنُّقصان، والاختلاف بالتّقديم والتأخير، والاختلاف بالإبدال، واختلاف اللّغات أي: اللّهجات كالفتح والإمالة والتّرقيق والتّفخيم والإدغام والإظهار.

وانتصر لهذا الرأي من الـمُعاصرين الخضري الدّمياطي، ومحمد بخيت المطيعي، واختار الزّرقاني، وصبحي صالح، رأي الرّازي، مع العلم أنّ صبحي الصالح قد أدخل تعديلا عليه[50].

مناقشة هذا الرأي: هذا الرأي مدفوع بما يلي من الحجج:

- أنّ أصحاب هذا الرأي قاموا باستقراء القراءات، ليخلصوا إلى وجوه عديدة من الاختلاف اجتهدوا على جعلها سبعةً، ولا يخفى عليك ما فيه من التّكلّف في تسبيعها، وبالرّغم من تقاربها، إلاّ إنّهم قد اختلفوا في تحديد هذه الأوجه، ممّا يؤدّي حتما إلى كونها أكثر من سبعة، وإذا أخذنا تصنيف الرّازي نموذجا، فلماذا يجعل اختلاف اللّهجات وجها واحداً ؟ ولا يجعل الإمالة وجها، والتّرقيق والتّفخيم وجها آخر مثلاً، ولماذا لا يندرج التّقديم والتّأخير– وهو وجه مستقلّ – ضمن الاختلاف بالإبدال ؟
- أنّ هذه الوجوه الـمُستقرَأة هي من الأحرف السّبعة، ولكن ليست هي عينها، فالقراءات نتيجة لوجود الأحرف، لا الأحرف السّبعة.
- أنّ هذا الرأي بعيد كل البعد عن روح الأحاديث القائلة بالتّيسير والتّسهيل، فهل في الوجوه الإعرابية، أو الإفراد والتّثنية والجمع..ما يتعسّر على النّاس قراءتها ؟ حتّى يُقال أنّ هذه المسائل من الأحرف السّبعة التي أنزلت للتّيسير على الأمّة.
- أنّ التّدرج المذكور في الحديث في استزادة النّبي صلّى الله عليه وسلّم للأحرف، يُناقض تماما هذا التّقسيم الذي ذكروه، فهل أُبيحت القراءة بالإفراد والتّثنية والجمع مثلاً، ثمّ أُبيحت القراءة بالأوجه الأخرى ؟[51].

الرّأي الخامس: أنّ المراد بالأحرف السبعة، سبعة أصناف في القرآن الكريم، غير أنّ القائلين بهذا الرأي اختلفوا في تعيين هذه السبعة، حيث تجاوزت العشرين، ذكرها السيوطي في الإتقان، نذكر منها:

- وعد، ووعيد، وحلال، وحرام، ومواعظ، وأمثال، واحتجاج.
- أمر، ونهي، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال.

- حلال، وحرام، وافتتاح، وأخبار، وفضائل، وعقوبات، إلى غير ذلك من الأقوال الكثيرة والمتعدّدة[52].

مناقشة هذا الرأي: لا يخفى بُطلان وتهافت هذا الرأي، وكلّ تلك الأقوال مردودة بما يأتي:

- هذه الأوجه والأصناف لا تُطابق ما ورد في الأحاديث الصّحيحة، وما ورد منها مُوافقا لها فهو ضعيف لا يُحتجّ به(الحديث: 04)، رواه ابن مسعود، وقد علّق عليه أهل العلم وبيّنوا ضُعفَه، يقول ابن عبد البرّ: « هو حديث عند أهل العلم لا يثبت، وهو مُجمع على ضُعفه »[53]، وقال أحمد شاكر: «هذا حديث مُرسل، فلا تقوم به حُجّة »[54].
- أنّ أصحاب هذه الأقوال اختلفوا في تعيين هذه الأوجه والأصناف اختلافا فاحشا، وأكثر ما ذكروه يتداخل بعضه ببعض، ومن العسير اعتبارُها أقوالا مُستقلّة. كما يظهر فيها أثر التّكلّف والصّنعة، ولا تستقيم مع أسلوبه صلّى الله عليه وسلّم، مع العلم أنّها غير منسوبة، وقائلوها من المجاهيل، قال المرسي: « هذه الوجوه أكثرها مُتداخلة ولا أدري مُستندها ولا عمّن نُقلت، ولا أدري لم خصّ كلّ واحد منهم هذه الأحرف السّبعة بما ذكر، مع أنّ كلّها موجودة في القرآن، فلا أدري معنى التّخصّص، ومنها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة، وأكثرها مُعارضة حديث عمر وهشام بن حكيم الذي في الصّحيح، فإنّهما لم يختلفا في تفسيره ولا أحكامه وإنّما اختلفا في قراءة حروفه »[55] .
- أنّ التّوسعة الملحوظة للشّارع الحكيم في نزول القرآن على سبعة أحرف، لا تتحقّق فيما ذكروه من الأصناف[56].

الرأي السّادس: أنّ حديث نزول القرآن على سبعة أحرف مشكل لا يُعرف المراد منه، لأنّ الحرف في اللّغة من المشترك اللفظي الذي لا يتعين المعنى المراد منه إلا بقرينة[57]، يقول الزّركشي: « إنّه من الــمُشكل الذي لا يُدرى معناه، لأنّ العرب تسمّي الكلمة المنظومة حرفا وتسمّي القصيدة بأسرها كلمة والحرف يقع على المقطوع من الحروف المعجمة والحرف أيضا المعنى والجهة، قاله محمد بن سعدان النّحوي (ت231هــ) »[58].

مناقشة هذا الرأي: هذا الرأي مدفوع بما يلي:

- لفظ الحرف الوارد في حديث الأحرف السبعة ليس من الــمتشابه، ولو كان كذلك لما أمكن أن ينصرف الصّحابة عن رسول الله حين تنازعوا في التّلاوة ومعنى الحرف غير مفهوم لديهم، ثم كيف يُزال إشكال بإشكال ؟ وإنّما أُشكل الأمر على من جاء بعدهم حين تباعد الزّمن فصعب عليهم ربط العلاقة بين معنى الحرف والقراءات القرآنية التي رخّص فيها الشارع.
- المشترك اللفظي إذا وجدت قرينة تُبيّن المعنى المراد منه لا يكون مُشكلا، وقد قامت قرائن

تمنع بعض معانيه، وتعين بعضها الآخر، لأنّه لا يصحّ أن يُراد أحد حروف التّهجي، لأن القرآن مؤلّف من جميع حروف الهجاء لا من سبعة منها فقط، ولا يصحّ أن يُراد به طرف الشيء، أو النّاقة الضامرة، فتعيّن أن يُراد منه الوجه[59].

الرّأي السّابع: أنّ الأحرف السّبعة لا أساس لها من الصّحة، وأنّ القرآن أُنزل على حرف واحد من عند واحد، وهذا قول الشّيعة الإمامية، يقول الطّوسي (ت460هـ) في التّبيان: « واعلموا أن العُرف من مذهب أصحابنا والشّائع من أخبارهم ورواياتهم أنّ القرآن نزل بحرف واحد، على نبي واحد »[60]، ويقول الطّبرسي(ت538هـ) كذلك في مجمع البيان: « الظّاهر من مذهب الإمامية أنّهم أجمعوا على القراءة الــمُتداوَلَة، وكرهوا تجريد قراءة مُفردة، والشّائع من أخبارهم أنّ القرآن نزل بحرف واحد »[61].

مناقشة هذا الرأي: يُعتبر هذا الرأي من أخطر الأقوال في هذا الباب وأشدّها، ذلك أنّ الآراء التي أسلفنا ذكرها –وإن اختلفت في تحديد معنى الأحرف السّبعة– إلاّ أنّها تُقرّ بها ولا تُنكرها، بينما هذا الرأي يرفضها رفضاً قاطعاً، ويهدمها من أساسها. وقد رأينا أن نُورِد هذا الرأي ونُناقشه، فالشّيعة طرف في القضيّة، ولا يُمكننا أن نُقصي أحداً، ولكنّ رأيهم هذا مردود بالحجج التّالية:

•إنّ رفضهم للأحاديث الصّحيحة الواردة في هذا الباب أمر بالغ الخطورة، فكيف يُمكن ردّ ما صحّ عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم لِمُجرّد أنّه يُخالف مرويّاتهم عن آل البيت ؟ والتي يُقدّمونها على الأحاديث الصحيحة[62]، مع العلم أنّهم وحدهم يتناقلونها فيما بينهم، ويعدّونها حُججا وبراهين في تقدير الأمور، يقول الخوئي: « إنّ المرجع بعد النّبي صلّى الله عليه وآله وسلم في أمور الدين، إنّما هو كتاب الله وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً »[63]، فلا يُمكن التّسليم بخبر واحد عن واحد، ولا القول المنسوب بلا سند يُذكر، في حين نترك العمل بحديث مُتواتر، رواه جمع كبير من الصّحابة. وما يتناقلونه أشبه بأقوال تمثّل آراء ذاتية لأصحابها على ما عليه منطوق رواياتها [64].

•حاول بعض علماء الإمامية أمثال الخوئي، إيجاد بعض التّناقضات في روايات الأحرف السّبعة، لنقض مذهب أهل السّنّة في هذه المسألة، ولكنّ هذه الأوجه التي ذكروها للتناقض بين الرّوايات، لا تعدو أن تكون مُلاحظات شكليّة، ما دامت نتيجة المواقف دائما الأمر أو الإخبار أو التّرخيص بالقراءة على سبعة أحرف، وإنّما يُهوّن من شأن هذه الشّكليات كثرةُ الطّرق التي انتقل بها الحديث، فلا معنى لهذه الكثرة ما لم تُوجد اختلافات يسيرة، تنتهي دائما نهاية واحدة، فالثّابت المتواتر في نظرنا هو هذه النهاية التي أجمع عليها هذا الجمهور من الرواة والأسانيد[65].

رأيي في المسألة: قبل أن أذكر رأيي في المسألة لا بأس أعلّق على أحاديث الأحرف، لنستخلص منها بعض الـمُلاحظات، والتي لربّـما تُفيدنا للوصول إلى فهم واعٍ لمعنى الأحرف السّبعة:

أوّلا: ممّا ينبغي الإشارة إليه أوّلا، هو أنّ أغلب العلماء الذين ذكروا أحاديث الأحرف، ساقوا روايات السّبعة وأغفلوا الروايات الأخرى، فهناك الواحد، والثلاثة، والأربعة، والخمسة، وأخيرا العشرة (الحديث: 16، 17، 18، 19، 20)، إذن فالروايات متعدّدة ومختلفة في عدد الأحرف، والاقتصار على رواية دون أخرى، يقتضي نقصا يُخلّ بمصداقية أيّ بحث، لأنّه لا يُحيط بالظّاهرة كلّها، فما بالك بقضيّة الأحرف السّبعة ذات الأهميّة البالغة، ولعلّهم إنّما أَقْصَوْها لأنّها لا ترتقي إلى أحاديث الأحرف السّبعة من حيث صّحةُ الإسناد وتواتره، وكثرة من روى الحديث من الصّحابة، وهذا ما يجعلنا نرجّح نحن كذلك رواية السّبعة على غيرها من الرّوايات.

ثانيا: وردت أحاديث الأحرف على عدّة أشكال نُوجزها فيما يلي:

1. أنّ الخبر يرد في سياق قصّة تُصوّر خلافا بين اثنين، أو ثلاثة من الصّحابة في قراءة سورة من القرآن وقد ذكروا بأسمائهم تارة (كعُمَر، وهشام بن حكيم، وأُبيّ، وابن مسعود، وعمرو بن العاص) ،وتارة بدون ذكر، ثمّ يحتكمون إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فيُجيز قراءاتهم جميعا، ويختمها بأنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف (الحديث: 02، 05، 06، 09، 11،12).

2. أنّ الخبر يرد وفي سياق القصّة يأتي ذكر الملائكة الكرام، يدور بينهم وبين النّبي الكريم حوار، فيُذكَر الـمَلَك جبريل مرّة لوحده، ومرّة أخرى يُذكر معه الـمَلَك ميكائيل، ومرّة دون تسمية، ثمّ إنّ قراءة القرآن على سبعة أحرف تكون بأمر منهم تارة، وتارة بطلب من الرسول صلّى الله عليه وسلّم، بالاستزادة رجاء التّخفيف والتّيسير على الأمّة. (الحديث: 01، 05، 13، 15)

3. أنّ الخبر يرد في صورة إخبار من النّبي صلّى الله عليه وسلّم، بقراءة القرآن أو نزوله على سبعة أحرف، مُجرّداً من أيّ إطار مكاني تارة، وتارة بذكر المكان، وهو: " أضاة بني غِفار"، و" أحجار الـمِراء "(الحديث: 01، 03، 04، 07، 08، 10، 14، 15).

انطلاقا من هذه المُلاحظات التي تُبرز الصُّوَر والأشكال المُتعدّدة لمتن الحديث، نتبيّن أمرا يُنبِئُ عن اضطراب وقع في سرد الأحداث حقيقةً، فهل يُعقَل أن يرجع الـمُختلفون إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، مرّات عدّة ؟ خاصّة إذا تعلّق الأمر بأبيّ الذي تُروى عنه أحاديث كثيرة في هذه المُساءلة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ألا يكفيه أن يعود مرّة واحدة ليذهب عنه الشّك

والرّيب ؟ ثمّ إنّ تعدّد المكان يطرح إشكالاً آخر، ولا يسعنا إلاّ أن نفتح باب الاحتمال، فيُحتمل أن تكون الواقعة واحدة، وتعدّدت الطّرق في نقلها وتضاربت الروايات في تحديدها بالدّقة اللاّزمة.

وأمّا حضور الــمَلَكين أو حضور أحدهما دون الآخر، والاختلاف فيمن هو الذي طلب القراءة بالأحرف السّبعة، فذلك أمر غير مُستاغ، وإذا كان جبريل هو الــمُوَكّل بأمر الوحي وأمينه، فما بال ميكائيل يحضر هنا ؟ ربّما لأنّه من الــمُقَرّبين إلى الله عزّ وجلّ، وقد كَرّمه هنا بحضور نزول الوحي، أو لأنّه قد ذُكر مع جبريل في القرآن الكريم، قال تعلى:﴿ **مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِلَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ** ﴾ **البقرة/98.**

ثالثاً: نرى أنّ الأحاديث الشّريفة لم تُبيّن ماهية الاختلاف، سوى ما جاء من إشارة إلى سورة الفرقان (الحديث: 06)، أو إلى سورة النّحل[66]، دونما إشارة إلى موضع الخلاف، وإنّما اكتفَت بذكر بعض المترادفات في بعض الأحاديث (الحديث:13)، أو تعديد لأصناف في القرآن كالأمر والنّهي والحلال والحرام(الحديث: 04)، وقد بيّنا وَهَنَ وضُعْف هذا الحديث وأنّه لا تقوم به حُجّة، أو ما جاء من استزادة النبي صلّى الله عليه وسلّم للأحرف بُغية التّسهيل والتّيسير على الأمّة، وهي لا تفي بالمطلوب، ولا تشفي الغليل، ولا تُريح العقل من البحث والتّفكير.

رابعا: أنّ كلّ الأقوال والآراء في هذه المسألة قاصرة وناقصة عن إعطاء مفهوم صحيح للأحرف السّبعة، ومن أجل هذه الإشكالات المتعدّدة التي ذكرت احترز بعض العلماء من الوُقوع في المزلقة، فحاموا حول الموضوع دون الوُلوج فيه خشية التّيه والدّوران، دون الوُصول إلى حلّ لهذه الــمُعضلة، قال ابن العربي(ت543هــ): « ولم يأت في معنى السّبعة نصّ ولا أثر، واختلف النّاس في تعيينها »، فآثروا مذهب التّوقف في المسألة كما يقول الأصوليون.

بعد هذه الجولة في غمار أحاديث الأحرف السّبعة و شارحيها، نرى أنّ الأحرف السّبعة حقيقة لا يُمكن إنكارها لوُرودها بالأخبار الصّحيحة والــمُستفيضة، ولا يضرُّ ما وقع في ثناياها من بعض الاضطراب في نقل الرّواة، وأنّها ساهمت في جزء كبير في تعدّد القراءات، وأنّ الأقوال التي ذكرنا لا تستوعب كل الاختلافات المرويّة عن القرّاء، ولكن يُمكن أن نخرج برأي تكامليّ، فالأحرف تستوعب ما ذكره الطّبري من اللّغات، وتتّسع لما جاء به الرّازي وأصحابه..، ولا يمكننا مهما بذلنا من جُهد أن نحصرها في سبعة فتلك حكمة اختصّ بها المولى عزّ وجلّ، وعددُ السّبعة قد تردّد في القرآن عدّة مرّات في إحصاء مخلوقات ربّانيّة في غاية الحكمة والإتقان كالسّماوات و الأراضين..

ولكن يُمكننا أن نتجاوز هذا الخلاف إلى طريق واحد في النّظر إلى الأمور وتقديرها، ونصل إلى قاسم مُشترك بين هذه الآراء جميعا، ويُصبح القرآن بذلك قد استرجع قرآنيّته الأحاديّة، ونَذْرَأ

عنه تعدّديّة لا تخدم سُمعته ومصدريّته الرّبانيّة، فلربّما نتج عن ذلك مُراجعة للحديث، فلا يظلّ بهذه الصّيغ المـُتعدّدة، ثمّ البحث بعدئذ في معنى الحرف لا مسبوقا بحرف "الباء"، وإنّما بحرف "على" وشتّان ما بين هذا وذاك، والله أعلم.

الخاتمة

وقد خلُصنا فيها إلى ما يلي:

– أنّ الأحرف السّبعة إشكال صَعُب على الدّارسين والعلماء –على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم– البتّ فيه، فقد بقي لغزا يُحيّرهم ويقضّ مضاجعهم، وقد تبيّن لنا شدّة اضطرابهم وتضارب آرائهم وتباينها، وبلغ اختلافهم مبلغا كبيرا، يُسيء إلى القرآن الكريم والسّنة النّبويّة الشّريفة، وقد حاولنا الخروج برأي توفيقيّ لأشهر تلك الآراء وأقربها إلى الصّواب فيما نعتقد. ولكن مع ذلك فهذه الآراء تبقى قاصرة وناقصة عن إدراك ماهيّة الأحرف والوصول إلى تفسير شافٍ كافٍ لها، لذا فهي قضيّة اجتهاديّة لا يزال الباب مفتوحا فيها على مصراعيه، أمام اجتهاد وتفسير الباحثين، وأيّ صوت علا ليقول غير هذا فقد جانب الصّواب، وربّما كان لها من الخَلَف مالم يستطعه أسلافنا السّابقون.

– إنّ طرحنا لإشكالية الأحرف السبعة سيمكنّنا من التعرف عن قرب عمّا نعتبره أمرا غريبا يتعلّق بما ترتب عن حديث السّبعة أحرف، من استنتاجات جميعها تُبيح التعدّد والاختلاف، وهو ما لا نقرّ به، ذاك أنّ اللّبس الذي يكتنف مدلول الحرف لا يُرخّص لأحد مهما بلغ علمه وأدرك من التقوى، أن يُقيم ما يُقيم على أساس الافتراض والتأويل اللّامؤسس على الحجّة والبيّنة، فماذا يعني الحرف ؟ وإلى أن يُرفع اللّبس عن هذه الكلمة فإنّ الاختلاف في قراءة القرآن بهذه الأوجه المتابينة غير المتواترة يظلّ فعلا متطاولا على القرآن وقدسيته.

– إذا كان السّلف يكاد إجماعهم ينعقد على أنّ القراءات القرآنيّة قد نسلت من حديث الأحرف السّبعة –وهم على ما هم عليه من الفرقة والتشتّت في فهم هذا الحديث– فإنّ هذا العلم قد أُسّس على بناء هشّ لا يكاد يستقيم بنيانه، فكيف يُؤَسَّس إذن على ما داخله الاحتمال والظنّ وشدّة الاختلاف ؟ والحقيقة أنّ العلم ما اضطردت قواعده وتأسّس على أمور دقيقة يستحيل وقوع التّناقض والاختلاف فيها.

– رأي الشّيعة في المسألة، وهو رأي متطرّف يتمثّل في ردّ الأحرف السّبعة ردّا عنيفا ومحاولةِ إبطالها من أصلها، وقد يصل بهم الحدّ إلى الطّعن في أهل السّنّة واتّهامهم بالتّحريف، وهذه محاولات يائسة لا تمتّ إلى المنهج العلمي بصلة، وما دفعهم إلى ذلك إلّا انحيازهم وتعصّبهم إلى طائفة بعينها، ومنظار الحقّ الذي يعتقدون لا يُرى إلّا من جانب آل البيت، وكيف

يتسنّى لمسلم أن يردّ الأحاديث الصّحيحة الثّابتة، ويُقدّم عليها بعض المرويّات الملفّقة والمكذوب ؟

الهوامش والإحالات:

[1] أخرجه ابن حبان والطبراني وأحمد وابن جرير ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي والطيالسي وأبو عوانة.

[2] أخرجه ابن حبان ومسلم وأبو عوانة وأحمد.

[3] أحرجه ابن حبان والطبراني.

[4] أخرجه الحاكم في المستدرك.

[5] أخرجه أحمد ومسلم، وأبو داود.

[6] أخرجه البخاري والترمذي وأبو داود والطيالسي وأبو عوانة ومسلم والطبراني وأحمد.

[7] أخرجه ابن حبان وأحمد والبزار بنحوه.

[8] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير.

[9] أخرجه الطيالسي وأحمد.

[10] أخرجه أحمد.

[11] أخرجه الحميدي وأحمد والطبراني.

[12] أخرجه أحمد.

[13] أخرجه أحمد وأبو داود، ومسلم بغير هذا السياق، والمعنى واحد.

[14] أخرجه أحمد والبخاري.

[15] أخرجه أحمد.

[16] كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي الهندي، تحقيق صفوت السقا، وبكري الحياني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط5، 1985، برقم(3090)، ابن منيع عن سليمان ابن صرد، 54/02 .

[17] كنز العمال: علاء الدين علي الهندي، برقم(3087)حم، طب، ك عن سمرة، وبرقم(3088)، ابن الضريس عن سمرة، 02 /53. وأخرجه الخاكم وأحمد.

[18] كنز العمال: علاء الدين علي الهندي، برقم(3097)، ابن جرير وأبو نصر السجزي عن ابن عباس، 55/02.

[19] جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبري، تحقيق وتعليق محمود محمد شاكر، مراجعة وتخريج الأحاديث أحمد محمد شاكر، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط2، (دت)، 69/01.

[20] كنز العمال: علاء الدين علي الهندي، برقم(2956)، السّجزي عن علي، 16/02.

[21] مناهل العُرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، بيروت، دار الفكر، ط2، (دت)، 99/01 .

[22] تاريخ القرآن: عبد الصّبور شاهين، المعهد العالي للدّراسات الإسلامية، (دط)،، 2003. ص61.

[23] الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل، (دط)، القاهرة، 1985،

45/01.

[24] مناهل العُرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، 99/01.

[25] تاريخ القرآن: عبد الصّبور شاهين، ص62

[26] المرجع السابق.

[27] ينظر: جمهرة اللغة: أبو بكر بن دريد، تعليق إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2005. وتاج العروس: محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق علي شيري، بيروت، دار الفكر،(دط)، 1994. ومعجم العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2003. والقاموس المحيط: محمد الفيروز أبادي، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرغيلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1997. ولسان العرب: جمال الدين بن منظور، ببيروت، دار صادر، (دط)، 2000. وتهذيب اللّغة: أبو منصور الأزهري، تقديم عبد السلام هارون، القاهرة، دار القومية العربية، (دط)، 1964. والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1990. ومقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار الفكر، (دط)، 1979. مادة حرف.

[28] النّشر في القراءات العشر: محمد بن الجزري، تقديم علي محمد الضبّاع، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 2002، 28/01.

[29] الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله القرطبي، تحقيق عبد الله التّركي، بيروت، مؤسسة الرّسالة، ط1، 2006، 72/01.

[30] الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، 45/01.

[31] المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: أبو شامة المقدسي، تقديم وتعليق إبراهيم شمس الدّين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2003، ص86-87.

[32] لسان العرب: جمال الدين بن منظور، مادة: حرف.

[33] روح المعاني في تفسير القرآن والسّبع المثاني: شهاب الدّين الألوسي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط4، 1985، 21/01.

[34] مناهل العُرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، 127/01.

[35] مباحث في علوم القرآن: منّاع القطّان، بيروت، مؤسّسة الرّسالة، ط15، 1985، ص163.

[36] نزول القرآن على سبعة أحرف، محاولة لفهم جديد: محمد خازر المجالي، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، عمان الأردن المجلد23 العدد01، جويلية، 1996، ص43.

[37] الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، 46/01.

[38] جامع البيان: ابن جرير الطبري، 47/01-49.

[39] مباحث في علوم القرآن: منّاع القطّان، ص162.

[40] البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزّركشي، قدّم له وعلّق عليه مصطفى عبد القادر عطا، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1988، 281/01.

[41] نزول القرآن على سبعة أحرف: محاولة لفهم جديد، محمد خازر المجالي ص07.

[42] المرجع السابق، ص40-41.

[43] النّشر في القراءات العشر: محمد بن الجزري،27/01

[44] القراءات القرآنية تاريخها ثبوتها حجيتها وأحكامها: عبد الحليم قابة،: القراءات القرآنية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1999، ص107.

[45] في اللّهجات العربية: إبراهيم أنيس، مصر، المكتبة الأنجلو مصرية، ط6، 1984، ص58.

[46]معجم القراءات القرآنية: أحمد مختار عمر، وعبد العال سالم مكرم، بيروت، عالم الكتب، ط3،1997، 73/01.

[47] نزول القرآن على سبعة أحرف: منّاع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، (دط)، (دت)، ص89.

[48] ينظر: تأويل مشكل القرآن: عبد الله ان قُتَيْبَة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2002، ص28-29. نَكْت الانتصار لنقل القرآن: أبو بكر الباقلاني، تحقيق محمد زغلول سلام، الإسكندرية، دار منشأة المعارف، (دط)، (دت)، ص120- 123.

[49] ينظر: معجم القراءات القرآنية: أحمد مختار عمر، وعبد العال سالم مكرم، 71/01.

[50] يُنظر: مناهل العُرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، 109/01. ومباحث في علوم القرآن: صبحي صالح، بيروت، دار العلم للملايين، ط13، ص15.

[51] نزول القرآن على سبعة أحرف، محاولة لفهم جديد: محمد خازر المجالي، ص44.

[52] الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، 48/01.

[53] البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزّركشي، 275/1.

[54] جامع البيان: ابن جرير الطبري، 69/01.

[55] الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، 49/01.

[56] مناهل العُرفان: محمد عبد العظيم الزرقاني،129/01.

[57] الأحرف القرآنية السبعة: عبد الرحمن المطرودي، الرّياض، عالم الكتب، ط1، 1991، ص21.

[58] البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزّركشي، 272/01.

[59] دراسات في علوم القرآن: إسماعيل، محمد بكر، القاهرة، دار المنار، ط2، 1999، ص78.

[60] التّبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر الطوسي، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، (دط)، (دت)، 07/01.

[61] مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الطبرسي، بيروت، دار مكتبة الحياة، (دط)، (دت)، 25/01.

[62] المدخل إلى القرآن الكريم: محمد أبو شهبة، ، الرياض، دار اللواء، ط3، 1987، ص214.

[63] البيان في تفسير القرآن: أبو القاسم الموسوي الخوئي، بيروت، دار الزّهراء، ط4، 1975، ص177.

[64] تاريخ القرآن: عبد الصّبور شاهين، ص67.

[65] تاريخ القرآن: عبد الصّبور شاهين، ص69.

[66] يُنظر: جامع البيان: ابن جرير الطبري، 37/01.

A study on Hadeeth : "The Quran has been revealed to be recited in seven different letters

Dr. BEZZAOUYA MOKHTAR
Faculty of Humanities and Islamic Civilization - University of Oran 1.
Bezzaouya10@hotmail.com

Abstract:

Ancient scholars and modern scholars has worked hard in interpreting these letters and understanding their meaning. This is because of the holly book and its readings, which resulted from the license approved by the seven-letter hadeeth, in order to ease the nation and lift hardships.

This difference has reached a severe amount to the extent of contradiction and contrast, which made the nation's scientists strive to preserve the book of God and the preservation of distortion and exchange. They concluded to the true frequent readings, but the mystery of the character remained puzzling them over the ages.

In this research, I tried to survey and gather these opinions in their mazes, and discuss them to come out - as I was able and reached - a compromise opinion with the help of God.

key words:

The letters- The Seven- The Holy Quran- Readers- Quranic readings- Facets.